

هذا وطني

MY HOME

لم أكن محظوظاً أبداً حين تجاوزتُ العقد الخامس من العمر، ولم تكتمل عينايا بمشهد من واحات نخيل السماوة، أو أشم عطر الحضارة الأولى من أديم الوركاء، لطالما رددنا مع المطرب حسين نعممة "نخل السماوة يَكول طرقتي سمره... سعف وكرب ظليت ما بيته تمره"، هل ما زال النخل يردد ذلك، أم أنه احد شيوخ السماوة الذي ابتلى بعشق تلك السمراء الضاتنة التي مرت ذات يوم قبالة بستانه فسلبت لبّ الشيخ الذي توارى، وتحدثت بلسان النخيل عما يخالجه من مشاعر تجاه سحر تلك المرأة ليترجمه بذلك البيت الدارمي؟ البادية، العيون، أسرار بحيرة ساوة، الصيد وروايات الصكارين، اوروك وأسوار كلكامش، نكرة السلطان، وحكايا اليسار ومحنة الكرد وقبورهم، قطار الموت وتسابق الأهالي على إنقاذ النخبة من شرفاء العراق، ضريح العشق في منطقة هدايته، آثار القصير وما تبقى من ذكريات هارون الرشيد، ثورة العشرين وملحة شعلان ابو الجون، حكايات لا تنتهي، ومواجه ما زالت تنوح بمواويل الأمهات وصبر الأباء وهم الأبناء.

□ المتنى / يوسف المحمداوي .. تصوير / محمود رؤوف

عمر سوقها المسكوف ١٦٢ عاماً

السماوة مدينة النخيل والكنوز يحفر في شوارعها الفقر



حشود المتبضعين داخل السوق

فريضة الحج ومنع الخمر

وعن ظاهرة نهب اغلب شباب السماوة لآداء فريضة الحج، احد المواطنين واسمه كاظم البركي يقول وهو يسحب دخان سيارته وكأنه يتزود بالوقود الكافي لإطلاق صواريخ شكواه، هذه الظاهرة غير مألوفة تعيشها السماوة، فالذي عمره ٢٠ عاماً يذهب للحج، بينما الذي عمره ٥٠ سنة أو أكثر لا يذهب، والامر ليس عن طريق القرعة وإنما هي حصص توزعها الأحزاب في ما بينها، فكل مراق الحياة تسيطر عليها الأحزاب كما يقول البركي. وعن ظاهرة التهريب والمخدرات يقول البركي: كانت السماوة في السابق مشهورة ومعروفة بالتهريب، موضحاً بان الجهات الأمنية في حكومة صدام بعد انقضاة ١٩٩١، اخذت تروج تلك المادة في السماوة وكانت محصورة في شريحة تسمى "القجاقة"، ويضيف البركي ان المخدرات مصدرها أفغانستان وإيران، والسماوة معبر لها باتجاه السعودية، وهي منتشرة ايضا في بعض مقاهي السماوة، وعن سبب انتشارها يبين البركي: انه في السابق كانت النوادي والبارات مفتوحة في السماوة، وشباب المدينة يتسامرون فيها ويشربون البيرة ثم يذهبون للنوم، لكن بعد إغلاق النوادي والبارات ومحال بيع الخمر والمخدرات وشرب حبوب الهلوسة التي دفعت العديد منهم إلى فعل جرائم كثيرة، ويرى البركي أن الحل هو بفتح النوادي والبارات ليتخلص المجتمع السماوي من ظاهرة الحبوب والمخدرات.

عكس اليهود ومناخة البدو

احد اصحاب المحال داخل السوق قال إن أقدم بائع في السوق هو الحاج كاظم عزيز حنوش، وآل حنوش يمتلكون العديد من المحال القديمة، فضلا عن عائلة آل غريب واليازين وهم من أصحاب الخانات، مضيفاً أن جميع أصحاب المحال في السوق هم من العرب ولا وجود لقوميات أخرى في السوق أو في السماوة. رزاق خلف صاحب محل للخياطة التقيناه في مقهى اثري يعود تاريخ تأسيسه مع مخبرين لكتهم حين يتعاشون مع أهلها بدايات السوق أي موجودة منذ العهد العثماني فيه، وهي داخل قصيرية داخل السوق، حيث كانت في البداية تسمى قصيرية الصاغة، يقول كنت في الكويت اعمل خياطا هناك، وحين وجدت المدينة تتوسع أثرت البقاء في محلي الذي يقع

تسهر بحجم الفاقة والعوز الذي تعيشه

المدينة التي لو وجدت ضمائر نقيه تعمل من اجل مصحتها لأصبحت قبلة عالمية وليس عراقية فقط لما تمتلكت من كنوز أثرية ومعالم سياحية ساحرة بكل ما تعنيه كلمة السحر. ندخلنا سوقها الذي يسمى (المسكوف) لتستقبلنا بطور النساء مع بطور المحال الممتدة، علما لا توجد في السماوة امرأة سافرة على الاطلاق، ولا وجود لكنيسة أو مواطنين مسيحيين في المحافظة، وتذكر لي أحد الزملاء انه كانت قديما عائلة مسيحية واحدة لكنها هاجرت منذ أمد بعيد إلى خارج العراق.

(البجيبيا ييجي) واليطلع منها ييجي

يقول الشاعر والإعلامي عامر موسى الشيخ إن هناك مثلا معروفا ومتداولاً عن السماوة (القادما لها يبيكي وحين يغارها يبيكي أيضا)، ويقصد أن أكثر الناس المتقولين من محافظات أخرى إلى السماوة يأتون إليها مجبرين غير مخبرين لكتهم حين يتعاشون مع أهلها والمثلكون بالبطية والصدق والمحبة والعشرة الرائعة يضطرون للبقاء عليهم لحظة الفراق.



خطاب العباة الرجالية



المدى داخل المقهى القديم



لحدى القيصريات المتفرعة من السوق

بن حارثة الشيباني مقيما بناحية (اليس)

يقصد العرب للجهاد). تقع محافظة المثنى في المنطقة الجنوبية من العراق وتحدها من الشرق محافظة البصرة وذي قار ومن الغرب المملكة العربية السعودية وجزء من بادية النخف ومن الشمال محافظة الديوانية وجزء من محافظة النخف ومن الجنوب العربية السعودية وجزء من محافظة البصرة ودولة الكويت.

لا سافرة في المحافظة

تبلغ مساحة محافظة المثنى حدودها الإدارية الحالية ٥١ ألف كيلو متر وهي ثاني اكبر محافظة ومع ذلك هي اقل محافظة من حيث عدد سكانها الذي بلغ حسب الإحصاء المحلي لسنة ١٩٩٧ حوالي نصف مليون نسمة ويمكن أن يصل الآن الى مليون نسمة، توجهنا مع الزملاء باتجاه شارع الجسر لأنه يقع مباشرة باتجاه الجسر ومن ثم انعطفنا باتجاه شارع باتا، وسمي بهذا الاسم لوجود محل قديم لبيع الأحذية التي كانت تحمل تلك الماركة. كان الشارع عبارة عن ورشة عمل وبعض الماركة تلاحظ على وجوههم ملامح التعب ومن أزيائهم

جميع البادية مع أن البعض عرفها ببادية السماوة، وجعل البعض الآخر حدودها الجنوبية على مقربة من بحر النخف

أي في حدود الحيرة القديمة وقد جعلها بطليموس تمتد حتى تتصل بالبطائح في جنوب العراق".

ما معنى كلمة السماوة؟

وعن معنى السماوة وفقا لما ذكره مؤلفو وأصحاب كل من لسان العرب ومعجم البلدان ومختار الصحاح ومعجم متن اللغة ودار معارف القرن العشرين والقاموس (المنجد) وغيرهم من الألفاظ ومؤلفو أسهات المراجع والموسوعات ويمكننا أن نستخلص من مجمل ما ذكره كل هؤلاء أن المعنى لكلمة السماوة عدة معان أوردتها معاجم اللغة وكتب التاريخ فقد أورد الحسني عن ياقوت الحموي في كتابه (معجم البلدان) ١٤٢٩ م "إنما سميت سماوة لأنها ارض مستوية لا حجر فيها". وأما المنجد فيورد "إن سماوة فلك البروج". "وسما على وارتفع". ويوضح الشيخ احمد رضا في كتابه معجم اللغة أن السماوة : الشيء العالي وكان بوذي إن تسمى الوركاء عاصمة كلكامش أو اوروك أو عشتار أو أي اسم آخر من سمياتها الجميلة والموغلة بالقدم بدلا من اسم المثنى كنت أتمنى لا أكثر.

أليس والشيباني

تورد بعض المصادر التاريخية أن المنطقة التي تمتد فيها مدينة السماوة حاليا قد نشأت فيها قبل الإسلام مدينة أسمتها للجيوش العربية ومقر تجمع المقاتلين من أبناء القبائل العربية التي حاربت الفرس وقاومت نفوذهم إذ شهدت أرضها معركة كبيرة بين العرب بقيادة خالد بن الوليد وبين الفرس بقيادة جابان عظيم المعجم المقيم في (اليس) وقد نكر ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان (اليس) - الموضوع الذي كانت فيه الواقعة بين المسلمين والفرس في أول ارض العراق من ناحية البادية .. وقال البلاذري:- (وكان المثنى

١٩ سيطرة قشتيش

٢٧٠كم هي المسافة التي تفصل بغداد عن السماوة، فضلا عن ١٩ سيطرة بعضها للدفاع، والبعض الآخر لوزارة الداخلية. ما يميز طريق السماوة — بغداد وأنت تتخذ الطريق السريع سبيلا للوصول هي بسايتين النخيل التي لا تنقطع أبدا، وكذلك مرآق ومقامات الأولياء التي تشتهر بها محافظتنا بابل والديوانية. نعم، انعم الفرات على تلك المدن ببساتين لا تعد ولا تحصى من أشجار النخيل، لكن السؤال الكبير أين القمر، الذي كان ارضص مادة غذائية في الأسواق العراقية، أما الآن فهو أعلى مادة في السوق والأسباب عدة وجميعها تصب في خاتمة الأمل وليس الأمل. تستقبلك السماوة في أول دخولك لها برمز جميل لنخلة كبيرة باعتبارها ثاني مدن العراق امتلاكاً لتلك الشجرة بعد محافظة البصرة، وكذلك هناك أشجار عديدة كبيرة وصغيرة تزين مدخل السماوة، ويقال أن تلك الأشجار استوردت من الكويت، نعم الكويت تصدر لبلاد ما بين النهرين أشجار الزينة والله زمن.

على أرض الواقع

ندخلنا السماوة أنا والزميل محمود وكان في استقبالنا العديد من الزملاء الإعلاميون عند فندق قصر الغدير السياحي، الذي يعد من افخر الفنادق العراقية لكونه يدار من قبل شركة استثمارية خاصة، ومن الأصدقاء حسام العاقولي وشقيقه ياسر، والزميل قاسم سلمان حميد ومصطفى الركابي، وصديق آخر من قضاء الرميثة، وجميعهم إعلاميون وهم بالحقيقة من أصدقاء محمود، وكان تواجدهم بناء على اتصال هاتفي منه، بعد شرب القهوة داخل الفندق توجهنا نحو ضالطنا السماوة، مركز محافظة المثنى، لنعرف من أهلها وضعها الحقيقي على ارض الواقع وليس نقلا عن تصريحات المسؤولين الذين يجملون القبيح ويحسنون السيئ خشية على مناصبهم ومنافعهم. يقول المرحوم احمد سوسة "إن المفهوم العام للعربية الصحراوية أنها تشمل